الأسس الفنية في وصية الإمام الصادق عليه السلام لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول

المدرس المساعد
فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي
كلية الطوسي الجامعة ـ النجف الاشرف

الملخص:ـ

مما لاشك فيه ان نصوص اهل البيت عليهم السلام بعد النص القرآني تعد إنموج بنيوي جمالي بلغ بالإبداع غايته فاعجز العقول وأبهرها وحفزها على استكناه مكامن ذلك الابداع وكشف اسرار اسلوبهم اللغوي والفني الذي تتشكل منه نصوصهم، وكيف بنا ونحن امام نص للأمام الصادق عليه السلام وهو من شجع البلاغة ووظفها في نصوصه فكان لهذه الرسالة السهم الاوفر من الاهتمام، وهذا البحث ما هو الا محاولة لتسليط الضوء على مكامن الابداع الجمالي في هذا النص عن طريق تطبيق بعض إجراءات المنهج الفني.

وقد سارت خطى البحث على وفق منهجية بنيت على فقرات تتقدمهما مقدمة ومدخل للبحث يتحدث عن نبذة مختصرة عن سيرة الامام عليه السلام وتلحقهما خاتمة النتائج. حملت الفقرة الاولى عنوان (البناء الهندسي) وعني بإبراز الهيكل العام الذي شيد عليه النص.

وحملت الفقرة الثانية عنون (البناء الصوري)وادرجت تحتها التشبيه، والاستعارة والكناية

أما الفقرة الثالثة فكانت بعنوان (البناء الصوتي) وشمل الجناس والاقتباس والتكرار والمقابلة...

المقدمة:

لا يوجد في تاريخ الأديان في العالم مذهباً أو ديناً اهتم إلى جانب أمور العقيدة بأمور الأدب والعلم اهتمام المذهب الجعفري بهما. بل بلغ الاهتمام بالأدب في مدرسة جعفر الصادق عليه السلام مبلغاً جعل الباحثين يتساءلون عن أيهما كان الأهم عند الإمام: الأدب أم المذهب، والعلم أم الأدب

وهذا البحث ما هو الا محاولة لتسليط الضوء على مكامن الابداع الجمالي في هذا النص عن طريق تطبيق بعض إجراءات المنهج الفني.

وقد سارت خطى البحث على وفق منهجية بنيت على فقرات تتقدمهما مقدمة ومدخل للبحث يتحدث عن نبذة مختصرة عن سيرة الامام عليه السلام وتلحقهما خاتمة النتائج. حملت الفقرة الاولى عنوان (البناء الهندسي) وعني بإبراز الهيكل العام الذي شيد عليه النص.

وحملت الفقرة الثانية عنون (البناء الصوري)وادرجت تحتها التشبيه، والاستعارة والكناية

أما الفقرة الثالثة فكانت بعنوان (البناء الصوتي) وشمل الجناس والاقتباس والتكرار والمقابلة...

على ضفاف البحث

نبذة مختصرة عن سيرة الامام الصادق عليه السلام (٨٠ أو ٨٣ ـ ١٤٨ هـ):

جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سادس أئمة أهل البيت الطاهر - عليهم السلام -، أبو عبد اللّه الهاشمي العلوي المعروف بالصادق. وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وامها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. وقال الإمام الصادق بحق والدته: "كانت امي ممن آمنت واتقت وأحسنت والله يحب المحسنين"[1]. كانت ولادته عليه السلام بالمدينة في السابع عشر من ربيع الاَوّل، سنة ثمانين للهجرة، أو ثلاث وثمانين. وقد عاش الامام - عليه السلام- شطراً من حياته في العصر الاَموي، وهو يتلوّى من الاَلم على مصير الاِسلام وعلى ما حلّ بالمسلمين من الويلات والمصائب، وكان الامام - عليه السلام- يتحيّن الفرص المواَتية لإداء رسالته، ونشر علومه، بعد أن حرص الاَمويون وبكل الوسائل على طمس آثار أهل البيت وفقههم، حتى إذا وجد الدولة الاَموية ينتابها الضعف، وتسير نحو الانهيار، نهض - عليه السلام- بكل إمكانياته، لنشر أحاديث جده - صلى الله عليه وآله -، وعلوم آبائه، وتوافد عليه العلماء وطلاب العلم حتى بلغت الجامعة التي أسّسها أبوه الباقر - عليه السلام- قبله، بلغت في عصره أوج نشاطها و ازدهارها، ولقد أحصى أصحاب الحديث أسماءَ الرواة عنه فكانوا أكثر من أربعة آلاف رجل، وأدرك منهم الحسن بن علي الوشاء (وكان من أصحاب الرضا

- عليه السلام-) تسعمائة شيخ. ولم يكن نشاط الإمام - عليه السلام- مقصوراً على تدريس الفقه الاسلامي، وأدلّة التشريع، بعد أن اتّسم ذلك العصر بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة، ودخول الفلسفة المتأثّرة بالفكر الهندي واليوناني، بل نجد الإمام - عليه السلام- قد تحدث في التوحيد وأركانه، والعدل، والقدر، وإرادة الانسان، وغير ذلك، وتحدّث أيضاً في طبائع الأشياء، وخواص المعادن، وفي سائر الكونيات. وأمّا مناقبه وصفاته، فتكاد تفوت عدد الحاصر، ويُحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تُدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عدد الإحاطة بحكمها، تُضاف إليه وتروى عنه. وقد قيل إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب ويتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه عليه السلام، وإنّ في هذه المنقبة سنيّة، ودرجة في مقام الفضائل عليّة، وهي نبذة يسيرة مما نقل عنه"[٢].

- علاقة الإمام بحكام عصره فقد ذُكر أنّه - عليه السلام- واجه في أيام المنصور من المحن والشدائد ما لم يواجهه في العهد الأموي، وكان وجوده ثقيلاً عليه، لأنّه أينما ذهب وحيثما حل يراه حديث الجماهير، ويرى العلماء وطلاب العلم يتزاحمون من كل حدب وصوب على بابه في مدينة الرسول، وهو يزودهم بتعاليمه، ويلقي عليهم من دروسه وإرشاداته، وكانت الدعوة إلى الحقّ، ومناصرة العدل ومساندة المظلوم واجتناب الظلمة الذين تسلطوا على الأمّة واستبدّوا بمقدّراتها وكرامتها، واستهتروا بالقيم والأخلاق، كانت هذه النواحي تحتل المكانة الأولى في تعاليمه وإرشاداته. وكان المنصور يدعوه إلى لقائه كلما ذهب إلى الحج، ويتّهمه بما يساوره من ريب وظنون حول تحرّك الإمام - عليه السلام-، ولقد دعاه مرة إلى بغداد عندما بلغه أنّه يجبي الزكاة من شيعته وأنّه كان يمدّ بها إبراهيم ومحمداً وَلَديْ عبد اللّه بن الحسن عندما خرجا عليه. وكان - عليه السلام- إذا التقى بالمنصور يقول الحقّ تصريحاً وتلميحاً[٣].

- وفاة الامام عليه السلامتوفي الإمام - عليه السلام- في زمن أبي جعفر المنصور في الخامس والعشرين من شوال، وقيل غير ذلك، سنة ثمان وأربعين ومائة، ودفن بالبقيع. وقال أبو هريرة العجلي، حينما حمل المشيّعون جنازته:

أقول وقد راحوا به يحملونه❖ على كاهل من حامليه وعاتق أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى❖ ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ❖ تراباً وأولى كان

فوق المفارق، قال الشيخ الطبرسي: عاش صلوات الله عليه خمسا وستين سنة، منها مع جده زين العابدين عليه السلام اثنتى عشرة سنة ومع ابيه الباقر عليه السلام احدى وثلثين سنة، وكانت مدة امامته اربعا وثلثين سنة(٤).

أهمية العلم والبلاغة ـ بشكل خاص ـ عند الامام عليه السلام:

لا نعرف في تاريخ الأديان في العالم مذهباً أو ديناً اهتم إلى جانب أمور العقيدة بأمور الأدب والعلم اهتمام المذهب الجعفري بهما. بل بلغ الاهتمام بالأدب في مدرسة جعفر الصادق عليه السلام مبلغاً جعل الباحثين يتساءلون عن أيهما كان الأهم عند الإمام: الأدب أم المذهب، والعلم أم الأدب؟(٥).

وتعريف الأدب عند الإمام الصادق عليه السلام تعريف فريد ليس له مثيل. فهو يقول إن الأدب هو لباس العلم والفكر الذي يقر بهما من فهم السامع والقارئ، وبهذا التعريف وضع الأدب في موضعه الحقيقي، دون أن ينتقص من منزلة العلم والفكر. فللعلم قيمته، وللأدب زينته، وهو الوسيلة التي تقرب العلم إلى الأذهان.

وهذا أشمل تعريف للأدب منذ اثني عشر قرناً ونصف قرن، أي منذ وفاة الإمام الصادق عليه السلام، فلم يأت أحد بتعريف أجمع منه أو أوجز.

وللإمام تعريف آخر للأدب مؤداه أن الأدب قد لا يكون علماً، ولكن لا علم يخلو من أدب، وهذا بدوره تعريف جامع موجز أيضاً لعلاقة الأدب بالعلم.

وليس في وسعنا أن نجزم بأي الموضوعين كان أعز على الإمام وأقرب إلى قلبه: العلم أو الأدب، ولا يسعنا أن نعرف هل كان الإمام مثلاً يفضل الشعر على الفيزياء، أو نقيض ذلك(٦). ولكنه يرى في الأدباء قوماً رق ذوقهم ولطف تفكيرهم وتميزوا على غيرهم بقوة الخيال وشفافية الذوق ودقة الفهم.

أما الإمام الصادق عليه السلام فقد كان من القلائل الذين أولوا العلم والأدب اهتماماً كبيراً، واستوى عندهم طالب العلم وطالب الأدب. وكان يقول:

ليس اليتيم الذي قد مات والده ... إن اليتيم يتيم العلم والأدب

وكان العرب قبل عصر الإمام الصادق عليه السلام يعنون بالأدب الشعر، وهناك آثار من الأدب المنثور نلمحها في العصر الجاهلي(٧)، ولكن الآثار الأدبية المنثورة كانت قليلة في القرن الأول من تاريخ الإسلام، باستثناء ما أبدعه المسلمون في هذه الفترة، وفي طليعتهم الإمام علي عليه السلام، الذي كان من أمراء النثر، وكانت خطبه في المناسبات المختلفة ذروة في البلاغة النثرية. وقد قام واحد من أحفاده بجمع خطبه في كتاب أسماه (نهج البلاغة)(٨).

وبفضل الإمام الصادق عليه السلام وتشجيعه للأدب عند العرب، ظهرت كتابات منثورة اعتباراً من هذا العصر.

فلولا مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ولولا تشجيعه الشخصي لجميع جوانب العلم والأدب، لما ازدهرت العلوم في العالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة(٩).

الخطبة الشخصية:

هي عبارة عن خطاب يوجهه الامام عليه السلام الى شخص محدد وليس الى جمهور، بحيث يذكر اسم الشخص المخاطب، ويلقي عليه خطاباً مقسماً الى مقاطع متنوعة تخضع لبناء فني دون ادنى شك،.. وهذا ما يسوغ لنا درجة ضمن (لغة الفن) التي نتناولها في هذه الدراسة...

والخطبة الشخصية عند الامام الصادق عليه السلام تأخذ مستويين من البناء الفني، الأول هو: وحدة الموضوع، والآخر: تنوع الموضوع، الا ان كليهما يخضع لخطوط هندسية تشكل مقاطع أو محطة توقف من خلال واصل فني بينهما هو اسم الشخص المخاطب...

نص الخطاب

وصيته عليه السلام لأبي جعفر محمد بن النعمان الاحول:

قال أبو جعفر: قال لي الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل عير أقواما في القرآن بالإذاعة، فقلت له: جعلت فداك أين قال؟ قال: قوله: " وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به " ثم قال: المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبدا سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه. والله إني لا علم بشراركم من البيطار بالدواب، شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ولا يحفظون ألسنتهم. اعلم أن الحسن بن علي

عليهما السلام لما طعن واختلف الناس عليه سلم الامر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: " ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين. إني لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الامر لا بقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لا صحابها وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم ". يا ابن النعمان إني لا حدث الرجل منكم بحديث فيتحدث به عني، فأستحل بذلك لعنته والبراءة منه. فإن أبي كان يقول: "وأي شيء أقر للعين من التقية، إن التقية جنة المؤمن ولولا التقية ما عبدالله". وقال الله عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾. يا ابن النعمان إياك والمراء، فإنه يحبط عملك. وإياك والجدال، فإنه يوبقك. وإياك وكثرة الخصومات، فإنها تبعدك من الله. ثم قال: إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت وأنتم تتعلمون الكلام، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلم الصمت قبل ذلك بعشر سنين فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال: ما أنا لما أروم بأهل، إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل على الاذى، أولئك النجباء الاصفياء الاولياء حقا وهم المؤمنون. إن أبغضكم إلي المتراسون. المشاؤون بالنمائم، الحسدة لإخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم. إنما أوليائي الذين سلموا لإمرنا واتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل امورنا. ثم قال: والله لو قدم أحدكم ملء الارض ذهبا على الله ثم حسد مؤمنا لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار. يا ابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا. يا ابن النعمان إنه من روى علينا حديثا فهو ممن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطاء. يا ابن النعمان إذا كانت دولة الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية، فإن المتعرض للدولة قاتل نفسه وموبقها، إن الله يقول: " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ". يا ابن النعمان إنا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا، فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيكذب علينا، وكلما ذهب واحد جاء آخر. يا ابن النعمان من سئل عن علم، فقال: لا أدري فقد ناصف العلم. والمؤمن يحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد. يا ابن النعمان إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم. لانه سر الله الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وأسره محمد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وأسره الحسين عليه السلام إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من أسره، فلا تعجلوا فو الله

لقد قرب هذا الامر ثلاث مرات فأذعتموه، فأخره الله. والله ما لكم سر إلا وعدوكم أعلم به منكم. يا ابن النعمان ابق على نفسك فقد عصيتني. لا تذع سري، فإن المغيرة بن سعيد كذب على أبي وأذاع سره فأذاقه الله حر الحديد. وإن أبا الخطاب كذب علي وأذاع سري فاذاقه الله حر الحديد. ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظه ووقاه حر الحديد وضيق المحابس. إن بني إسرائيل قحطوا حتى هلكت المواشي والنسل فدعا الله موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا موسى إنهم أظهروا الزنا والربا وعمروا الكنائس وأضاعوا الزكاة. فقال: إلهي تحنن برحمتك عليهم، فإنهم لا يعقلون. فأوحى الله إليه أني مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوما. فأذاعوا ذلك وأفشوه. فحبس عنهم القطر أربعين سنة وأنتم قد قرب أمركم فأذعتموه في مجالسكم. يا أبا جعفر ما لكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى هذا الامر، فو الله لو أن أهل السماوات [والارض] إجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلوه. كفوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخي وعمي وجاري. فإن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه فلا يسمع معروفا إلا عرفه ولا منكرا إلا أنكره، ثم قذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره. يا ابن النعمان إن أردت أن يصفو لك ود أخيك فلا تمازحنه ولا تمارينه ولا تباهينه ولا تشارنه ولا تطلع صديقك من سرك إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك. فإن الصديق قد يكون عدوك يوما. يا ابن النعمان لا يكون العبد مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنة من الله وسنة من رسوله وسنة من الامام، فأما السنة من الله عز وجل فهو أن يكون كتوما للأسرار يقول الله جل ذكره: " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا " وأما التي من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أن يداري الناس ويعاملهم بالأخلاق الحنيفية، وأما التي من الامام فالصبر في البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج. يا ابن النعمان ليست البلاغة بحدة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة.

يا ابن النعمان من قعد إلى ساب أولياء الله فقد عصى الله. ومن كظم غيظا فينا لا يقدر على إمضائه كان معنا في السنام الاعلى. ومن استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حر الحديد وضيق المحابس. يا ابن النعمان لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به. ولا لتباهي به. ولا لتماري ولا تدعه لثلاث: رغبة في الجهل. وزهادة في العلم. واستحياء من الناس. والعلم [ال] مصون كالسراج المطبق عليه. يا ابن النعمان إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا نكت

في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب يطلب الحق. ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره. يا ابن النعمان إن حبنا - أهل البيت - ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلا بقدر ولا يعطيه إلا خير الخلق وإن له غمامة كغمامة القطر، فإذا أراد الله أن يخص به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطلت كما تهطلت السحاب. فتصيب الجنين في بطن امه[١٠].

تحليل النص

يمتاز هذا النص بجملة من الخصائص الفنية منها:

البناء الهندسي

إن طريقة بناء النص التي تقوم على رواية الحديث، وطريقة المناقشة، وثقافة الشخص، والعلم، والبلاغة...، اذ ان الفارق بين النص الفني وسواه، ان النص الفني يخضع لبناء فكري متلاحم الأجزاء، فقد انطلق عليه السلام من مفهوم (اذاعة الحديث)، وهو المحور الفكري الذي حامت عليه اجزاء الخطاب، الا انه عليه السلام ادرج ضمن هذا المحور الفكري خطوطاً أخرى تتفرع منه أو تترتب عليه أو تتجانس واياه، أو ترتبط من بعيد أو قريب بصلة فكرية بالموضوع، فمثلاً عندما عرض لمفهوم البلاغة من انها (اصابة المعنى وقصد الحجة) وليست (حدة اللسان وكثرة الهذيان) وهذا ما يجعلها مرتبطة - عضوياً- بالموضوع الرئيس (اذاعة الحديث)... كذلك عندما يطرح الامام عليه السلام مفهوماً مثل:

(يا ابن النعمان: لا تطلب العلم لثلاث: لترائي به، ولا لتباهي به، ولا لتماري...) انما يربطه أيضاً بالموضوع الرئيس (اذاعة الحديث) فالمذيع للحديث- دون ان تكون له مسوغات انما يصدر عن نفس مريضة تحوم على الذات: مثل الرياء حتى يكسب سمعة اجتماعية من خلال العلم، أو ليعوض النقص لديه بإثارة الجدال...

من خلال ما تقدم يتبين ان الامام عليه السلام قد طرح موضوعاً رئيساً يستهدفه هو (عدم اذاعة الحديث لغير مناسبة)، ولكنه عليه السلام في نفس الوقت طرح مفهومات متنوعة مثل ضرورة تعلم العلم من أجل الله تعالى وليس من اجل الرياء والمباهاة او الجدال، ومثل تحديده للبلاغة بأنها اصابة المعنى وقصد الحجة،...، حيث ربط هذه الموضوعات بالموضوع الرئيس، وهذا هو واحد من اسرار الفن المدهش.

البناء الصوري:

المقصود من الصوري هو: العنصر التخيّلي، متمثلاً في إيجاد علاقة بين شيئين لا علاقة بينهما في الواقع، والعنصر الصوري يعد أحد العنصرين الرئيسين في النص الأدبي (الإيقاع والصورة)، بحيث يتميز التعبير الفني عن غيره من خلال توكئه على العنصرين المذكورين في الدرجة الأولى.

التشبيه في خطاب الامام الصادق عليه السلام.

يعدّ أسلوب التشبيه جزءًا رئيسًا من عناصر الصورة البيانية و رافداً من روافد التصوير البياني في التعبير، ويمثل أحدى وسائل الأديب في الوظيفية الأبلاغية، بوصفه أداة لتوضيح المعاني وتقريبها إلى المتلقي فضلاً عن كونه أداة في بث الجمال في أثناء النص، والارتقاء به عن مرتبة الخطاب النفعي والتداولي(١١).

والنص يحفل بهذا العنصر الصوري بنحو ملحوظ ايضاً، فبالرغم من انه عليه السلام، يتحدث مباشرة مع شخص يستهدف لفت نظره الى سلبية اذاعة الحديث، نجده يوشح هذا الخطاب بعناصر من التشبيه والاستعارة والتمثيل...، فقد قدم تشبيهاً بالنسبة الى اذاعة الحديث هو (المذيع علينا سرنا، كالشاهر بسيفه علينا)... وبعد ان عرض قضايا اخرى عاد الى تشبيه آخر فقال: (يا ابن النعمان، ان المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو اعظم وزراً...) وهذا التكرار لعنصر التشبيه في موقعين مختلفين له قيمته الفنية الكبيرة، حيث اخضع التشبيه لنمو أو تطور عضوي، اذ انه في التشبيه الاول اكتفى بالقول بأن مذيع الحديث كشاهر السيف، اما في التشبيه الآخر، فقد عبر مرحلة اشهار السيف الى (القتل) ثم عبر مرحلة القتل الى مرحلة اعظم وزراً...، كم يبدو هذا النمط من التشبيه (مدهشاً) من حيث خضوعه لعملية نمو وتطور فني يشبه نمو الكائن الحي وتطوره... ونتقدم مع النص فنجد تشبيهاً جديداً هو (اني لاعلم بشراركم من البيطار بالدواب)...، يشير عليه السلام الى انه اعلم بأشرار الناس من علم البيطار بالدواب،... وهذا التشبيه في واقعه ضربة موجعة للناس حيث جعل القارئ يستوحي بأن الناس هم شر من الدواب في سلوكهم غير المقترن بالوعي العبادي... وهكذا نجد ان هذا التشبيه وما تقدمه من التشبيهين يجسد نمطاً من التركيب الصوري المدهش الذي يتجاوز التشبيهات التقليدية ليتجه الى صياغة صور ذات طرافة وجدة وعمق اثارة.

ونتابع التشبيهات في هذا النص لنجد ان التجانس بينها: يأخذ بعداً من احكام الصياغة الصورية، حيث قدم في نهاية الخطاب تشبيهاً جديداً يقول فيه: (يا ابن النعمان، ان الله جل وعز اذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتةً بيضاء فجال القلب بطلب الحق، ثم هو الى امركم اسرع من الطير الى وكره...) ففي هذا التشبيه (أسرع) نلحظ نفس التشبيه الأسبق، اي تشبيه التفاوت (علم بشراركم) مما يكشف ذلك عن بعد جديد هو (التجانس) بين التشبيهات، فكما ان التشبيهات السابقة خضعت لنوع من التطور والنمو وهذا ما يضفي جمالية على عمارة النص، كذلك التشبيهات الاخيرة خضعت لنوع آخر من انواع البناء وهو التجانس بين اجزائه من خلال عنصر التشبيه، ثم يختم الامام خطابه ب (التشبيه المألوف) حيث احتشد النص بعنصر التشبيه بنحو يلفت النظر، لنقرأ مثلاً: المقطع الأخير من النص: (يا ابن النعمان: ان حبنا أهل البيت ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش (كخزائن) الذهب والفضة، ولا ينزله الا بقدر، ولا يعطيه الا خير الخلق، وان له غمامة (كغمامة) القطر، فاذا اراد الله ان يخص به من احب من خلقه، اذن لتلك الغمامة فتهطلت (كما تهطلت السحاب) فتصيب الجنين في بطن امه)، ففي هذا المقطع ثلاثة تشبيهات (كخزائن) (كغمامة) (كما تهطلت)...

وهذا العدد المتكثر من التشبيهات له أهميته اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الامام عليه السلام لا يلجأ الى (الترف الفني) حسب تعريفه عليه السلام للبلاغة،... لكن اذا كان السياق يفرض (اللغة الفنية) حينئذ نجد الامام عليه السلام يعنى بالفن (وبعنصر الصورة) عناية بالغة حتى ليحشد النص بهذه التشبيهات المتنوعة (تشبيه التفاوت) المألوف، المتجانس، المتنامي عضوياً، المتكرر... وهذا كله فيما يتصل بعنصر واحد من عناصر الصورة....

الاستعارة في خطاب الامام الصادق عليه السلام.

في هذا المستوى من مستويات البيان ترتقي علاقة التشابه بين طرفي التشبيه إلى درجة أعلى، إذ يظهر المشبه المحذوف في صورة المشبه به، أي المشبه به صورة المشبه وإذا كان لا بد للاستعارة والمجاز من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، فإنَّ الاستعارة ابلغ لأنَّ فيها دلاله أخرى[١٢] أما بالنسبة للناحية الدلالية، فإنَّ الأسلوبية تتجه إلى الألفاظ بوصفها ممثلة لجوهر المعنى، فاختيار المبدع لألفاظه يتُّم في ضوء إدراكه لطبيعة اللفظة، وتأثير ذلك

على الفكرة ويأخذ الاستعمال الأستعاري أهمية خاصّة في هذا المجال أيضاً، بما يحويه من قدرة إبتكارية على تجاوز الموضوعات المألوفة إلى خلق مواصفات جديدة، من دون اللجوء إلى توارث صور مجازية ربما تكون قد فقدت مجازيتها أو ماتت، فتصبح عديمة الفائدة أسلوبياً(١٣).

ومن الصور الاستعارية نص الامام الصادق عليه السلام قوله: (يا ابن النعمان إذا كانت دولة الظلم فامش واستقبل من تتقيه بالتحية، فإن المتعرض للدولة قاتل نفسه)، استعار الامام عليه السلام لفظة الظلم من البشر واضفاها على الدولة والحقيقة اذ الدولة لا يمكن ان تكون ظالمة لكن حكامها هم الظالمون، لكن الامام استعمل هذه الاستعارة للدلالة على تفشي الظلم في البلاد واتساعه. كذلك قال ان معترض الدولة والمراد المعترض على السلطة في الدولة.

ومن الاستعارات الاخرى في نصه: (فحبس عنهم القطر) نقل الحبس من مجاله الخاص بالأحياء الى القطر ليدل على انه متوفر عند الله وفي متناوله، لكنه منعه عنهم لمدة محددة وسيطلقه حين ينتهي الاختبار.

وقال ايضا (ثم قذف الله في قلبه كلمة يجمع بها امره)فقد استعمل القذف للكلمة وهذا يعني ان الله اذا اراد امر عجل به كذلك اذا اراد هداية عبدا.

ومن استعارات النص الاخرى: (ومن استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حر الحديد وضيق المحابس)، هنا جمع الامام عليه السلام بين الكناية والاستعارة من اجل اتساع المعنى وتهويل الموقف فاستعارة كلمة الفتح للنهار وهنا دلالة واضحة على ان مذيع متعمدا على اذاعة السر فجعل له المرتبة الاولى من يومه، ثم استعارة لفظة سلط ليكون لا مفر من العذاب لتسلطه عليه وارفها مكني عن شدة العذاب بحر الحديد. ليكون الرد من الله وجزاء المذيع للسر يعادل قوة استعداده لإذاعة السر قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة النحل: ١١٨)

وهناك استعارات كثير يحملها النص لا مجال لذكرها استعملها الامام من اجل اتساع دلالة النص بل اتساع دلالة اللفظ والواحدة وشمولها لعدة معاني.

الكناية في خطاب الامام الصادق عليه السلام.

تعد الكناية من العناصر الرئيسة في تشكيل التعبير الفني في العربية، فهي تمثل مرتكزاً مهماً يتكئ عليه المنشئ، لما تمتلكه: من صفات القوة والتأكيد والدلالة.

وقد عرفت الكناية في اللغة بـ "أَنْ تتكلم بشيء وتريد به غيره"(١٤).

أما في الاصطلاح البياني فهي: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى(١٥).

ولاشك في أنَّ وراء توظيف الكناية في التعبير الفني خصائص تعبيرية، تكسب الأسلوب جمالاً ودلالات تفقدها في الأساليب الصريحة، وفي ذلك، قال عبد القاهر (ت٤٧١هـ): "قد أجمع الجميع على أنَّ الكناية ابلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح"(١٦)، فَإِنَّكَ اذ كنيت عن المعنى زدت في ذاته بل أَنّك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد(١٧). وهو اقرب الى التصوير.

ومن المؤكد ان هذا الفن الصوري لا يغيب عن نص امامنا فنجده في قوله: (فهو ممن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطاء).فقد كنى الامام عليه السلام عن شدة اذيتهم اهل البيت من المذيع للسر بالقتل وبالتحديد القتل العمد حتى يكون اشد اثما وابشع فعلا.

أما في قوله: (فاذاقه الله حر الحديد) هنا جمع الامام بين الاستعارة والكناية فكنى عن شدة العذاب بحر الحديد واستعار الذوق فجعله يذوق حر النار.

كذلك قوله: (إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل على الاذى).

فقد كنى عن الابتعاد عن الفحشاء بإطالة الصمت لان لو كان فعلا اطالة صمت لكان هناك بعد اطالة الصمت كلام في الفحشاء. ثم اردف الكناية باستعارة فقال دولة الباطل والمراد سكان الدولة هم على باطل.

البناء الصوتي:

من المعرف ان هناك علاقة وطيدة بين الايقاع والبنية الصوتية لأنه عبارة عن رجوع

ظاهرة صوتية ما، على مسافات زمنية متساوية أو متجاورة[١٨].

ومن العناصر الايقاعية الصوتية التي لها حضور مميز في رسالة الامام علي عليه السلام لعثمان بن حنيف.

العبارات المقفاة في خطاب الامام الصادق عليه السلام.

إذا نظرنا الى الخطبة وما فيها من دقة النظم وروعة التأليف، وما تجلى فيها من صور جميلة، ومن التوقيع الموسيقي، بل ومن صور البيان عامة ما لا يمكن ان يكون الا في كلام اهل البيت عليهم السلام ودقة استعمالهم للألفاظ.

فلنشاهد المقطع الاول من الرسالة الذي يقول فيه: (شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ولا يحفظون ألسنتهم)؛ ان استعمال فاصلة (الالف المطلقة) نفسها يشكل ايقاع متوالي في الحقيقة لم يعد مجرد منسق إيقاع صوتي فقط بل انه وحدة دلالية وجزء حيوي في هيكلية الرسالة. اراد الامام عليه السلام من خلاله ان يفصل هذه الفقرة عن بقية الفقرات كونها تدل على القوم المعنين في هذا النص ويستعمل الفاصلة نفسها لموضوع مشابه بل هو الموضوع نفسه حين قال: (يا ابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا).

كذلك الامر في قوله: (إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل على الاذى، أولئك النجباء الاصفياء الاولياء حقا وهم المؤمنون).

التضاد في خطاب الامام الصادق عليه السلام:

التضاد عند الاسلوبيين هو ما يقابله عند البلاغيين القدامى من دمج الطباق والمقابلة معاً ليكون هذان المصطلحان ما يعرف بالتضاد.

المطابقة: وتسمى الطباق والتطبيق والتكافؤ والتضاد، وهي الفن الثالث من بديع ابن المعتز.

والطبقة هي: "الجمع بين المتضادين أي متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد كقولة تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (سورة الكهف:١٨)، هذا في الاسماء ام

في الافعال كقولة تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران:٢٦)، وكذلك الحروف كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة:٢٨٦)[١٩].

المقابلة: تكلم عنها قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر "وهي من انواع المعاني"[٢٠]، وادخلها جماعة في المطابقة كأبن الاثير الذي قال: "اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة "[٢١].

ورد التضاد في عدة مواضع من رسالة الامام عليه السلام، ومنه قوله: (فلا تعجلوا فو الله لقد قرب هذا الامر ثلاث مرات فأذعتموه، فأخره الله. والله ما لكم سر إلا وعدوكم أعلم به منكم). فقد طابق الامام عليه السلام بين (لقد قرب هذا الامر) وبين (فاخره الله) مرة، ومرة اخرى بين (كتم السر واعلانه) فنلاحظ الامام عمل موازنة بين الفقرتين ليبين من خلالها ان كتمان السر هو ما يقرب الامر الحسن وخلافه يبعده من جهة ومن جهة اخرى اراد ان يقول ان اتباع قول اهل البيت عليهم السلام هو الذي يقرب امر الله الحسن.

أما في قوله: (ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين) احدث مقابلة بين معنيين متضادين (ما انا بمذل المؤمنين) و(لكني معز المؤمنين) اراد ان ينفي امر بإثبات امر اخر في صالح المؤمنين. فاستعمل صيغة المقابلة حتى تكون الدلالة اقوى.

ونجد طباق اخر في قوله: (إن أبغضكم إلي المتراسون. المشاؤون بالنمائم، الحسدة لإخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم. إنما أوليائي الذين سلموا لإمرنا واتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل امورنا).

ومن الملاحظ أن هذه المتضادات ساهمت بشكل كبير في تفعيل الإيقاع الصوتي من خلال التقابل في اللفظ والمعنى، فضلا عن الدلالة التي يبغي الأمام عليه السلام أن يوصلها للمسلمين عن طريق خطابه مع ابي جعفر وهو حفظ سر اهل البيت خصوصا امام اعدائهم.

وهناك طباق اخر (مقابلة في المعنى) في قوله: (وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به).

كذلك طابق الأمام عليه السلام في قوله: (فو الله لو أن أهل السماوات [والارض] اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداه ما استطاعوا أن يضلوه..)

فو الله لو أن أهل السماوات [والارض] اجتمعوا (على أن يضلوا عبد) و(عبدا يريد الله هداه) متناقضان في المعنى من غير شك. ومثل هذا التضاد يعمل على تقوية الحلقات الموسيقية في الرسالة، كذلك يحمل هذا التضاد صفة التناسب من حيث الصيغة التي تعمل على تفعيل الايقاع الداخلي في النص وتقويته.

ويودي الدلالة نفسها قوله: (إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت وأنتم تتعلمون الكلام).

كذلك قوله: (فهو ممن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطاء).لقد ذكر لفظة القتل ليدل بها على شدة الامر(اذاعة السر) ومدى تأثيره عليهم اهل البيت.

(فإن الصديق قد يكون عدوك يوما). من الواضح ان الامام استثمر الخطاب في اثارة مواضيع مهمة وذات صلة بالموضوع الاساس وهو عدم الثقة المطلقة لأنه لا شيء يبقى ثابت حتى الصديق يمكن ان يكون عدو في يوما ما

ونظرا لأهمية هذا الطباق في الخطاب كونه يخص لفت انظار المسلمين الى سلبية اذاعة الحديث.

إن حركة السياق داخل النصين لها نغمة خاصة تكونت بفضل التقابل في المعاني والذي انتج (التناغم الصوتي)؛ الذي يعدُّ اخفى درجة من درجات الايقاع الموسيقي الداخلي.

وقد لاحظنا في المتضادات التي رسمها الامام علي عليه السلام قيمة جمالية دلالية تتجلى في قدرتها على مناوشة الشعور عن طريق الابانة الخاطفة عن وجه الحياة للأشياء حيت تتأزر الابانة في مختلف وسائل التركيب اللغوي.

الجناس في خطاب الامام الصادق عليه السلام.

الجناس: يسميه بعضهم (التجنيس) وهو ثاني فن من فنون البديع عند ابن المعتز، وقد عرفه بقوله:" هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام"[٢٢]، ومجانستها لها أن

تشبهها في تأليق حروفها. وهناك أن الجناس " أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناها"(٢٣).

وللجناس اقسام كثيرة، ولكنه بصورة عامة ينقسم على:

١.جناس تام ٢. جناس ناقص

"أن الجناس التام هو ما اتفق طرفاه في اربعة امور هي:

أ- الحروف ب- عدد الحروف ج - ضبط الحروف د- ترتيب الحروف، أما غير التام فهو ما اختلف طرفاه في واحد من الأربعة المتقدمة"(٢٤).

لقد ورد الجناس التام في مواضع عدة من الخطاب ومنها قوله: (والله إني لا علم بشراركم من البيطار بالدواب، شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ولا يحفظون ألسنتهم) فقد اعطى هذا الجناس سياق النص جمالية رائعة، وموسيقى عالية، حيث اعادة الأمام عليه السلام الكلمة باللفظ والمعنى نفسه لغاية ودلالة معينة.

والثاني في قوله عليه السلام (يا ابن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا، بل هو أعظم وزرا). فالجناس حدث في لفظتي (اعظم وزرا) لفظا ومعنى لان الامام عليه السلام.اراد من هذا التكرار في الكلمات المتجانسة ان يبين مدى شدة الامر وكررها ثلاث حتى يكون التأكيد اكثر فيصل للغافل والمتشكك. فضلا عن اضافته طابع موسيقي بتكرار الكلمة ذاتها بنسق معين من جهة اخرى .

والثالث في قوله: (يا ابن النعمان لا يكون العبد مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنة من الله وسنة من رسوله وسنة من الامام) فقطعا اراد الامام من تكرار هذه الكلمة لفظا ومعنا هو تأكيد انه لا فرق بين سنة الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة الامام، فالأمر واحد وان اختلف المقام فيوجب على المؤمنين طاعتهم واتباع تعاليمهم لأنها صادرة عن الله عز وجل وعن اوليائه. ثم يبين كل سنة من السنن بشكل مفصل.

كذلك نجد الجناس التام في قوله: عليه السلام (وأي شيء أقر للعين من التقية، إن التقية جنة المؤمن ولولا التقية ما عبدالله". وقال الله عز وجل: " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين). ان تكرار لفظة التقية وتأكيدها بأية قرآنية تدل على رغبة الامام بين الحين

والاخر ان يذكر ان كلامه كلام موصول بكلام الباري عز شأنه.

وأما في قوله عليه السلام: (فلا يسمع معروفا إلا عرفه ولا منكرا إلا أنكره). فهنا جناس ناقص بين (معرفا) و(عرفه) وبين (منكرا) و(انكره). وهذا التقارب الصوتي بين الكلمات أضفى على العبارة نغماً موسيقاً عذباً.

ومن الجناسات الاخرى قوله: (شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا)جانس الامام بين القران ويقرؤون لأهمية الكلمة كونها شفرة التعاليم الاسلامية واساس الايمان لان من قرأ كلام اتبع تعاليمه والتحق بزمرة المؤمنين.

وله قول اخر (يا ابن النعمان إني لا حدث الرجل منكم بحديث فيتحدث به عني، فأستحل بذلك لعنته والبراءة منه) لاشك ان موضع الخطاب هو حديث اهل البيت واهميته وكيفت الحفاظ عليه لهذا جانس في كلمة الحديث واعادتها دون غيرها للتأكيد على اهميتها وللفت نظر السامع فضلا عن بيان الاطراف التي يمر عليها الحديث ويكون بعاتقهم الحفاظ عليه.

نلاحظ الجناس حدث بألفاظ متكررة بالمعنى ومختلفة بترتيب الحروف أو بشكل اللفظة، وان تكرار الجرس والحروف بنفس النغمة أو المعنى يحقق اجواء جمالية مؤثرة ومعبرة وتوفر جواً موسيقياً جميل.

فقد خلقت هذه الجناسات جواً موسيقياً دلالياً يحفل بالهدوء والجمال تناسبا وتناسقا مع ذكر الله عز وجل وذكر كلام الله وذكر الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله فضلا عن ذكر اهل البيت عليهم السلام.

ونخلص من هذا أن ما يشكله التجنيس هو قيمة نغمية تثير تصويراً ذهنياً لاستجلاب تباين المعنى في ترجيح اللفظتين وبقدر ما يوفره هذا الترجيع النغمي من قوة الاثارة من خلال عذوبة لفظه وتلاؤمه في السياق المنظومة فيه فهو حسن، وبقدر ما يشكل عثاراً وتعقيداً لفظياً لا يوحي بتباين المعنى في السياق فهو هجين على الصنعة ومستكره[٢٥].

الاقتباس في خطاب الامام الصادق عليه السلام:

يعد الاقتباس لونا من الوان البديع، وواحداً من المحسنات البلاغية التي تعني بها الشاعر والناثر على حد سواء، فالاقتباس تضمن "الكلام شيئاً من القران أو الحديث، لا

على انه منه "[٢٦]، أي بمعنى الاستشهاد ببعض النص أو بكلمة منه دالة على ما اقتبس منه سواء أكان قراناً أو حديثاً.

ومما تقدم فإن الاقتباس قائم على اساس "ان يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القران الكريم أو الحديث الشريف دون ان يشعر بذلك، ويجوز ان يحتفظ المقتبس بالنص القرآني أو النبوي، أو ان ينقلع الى معنى اخر، كما يجوز له ان يغير في الالفاظ المقتبسة من تغييراً يسيراً"[٢٧].

والاقتباس في اصله تقوية للنص، وتوضيح للمعنى، بكلام تدعمه الحجة وتثبته الادلة، ويكون اما حرفيا أو نصيا أو شعاريا[٢٨]. وللأثر القرآني اوجه متعددة تخللت خطبة ورسائل الائمة عليهم السلام حتى كانت طابعا غالبا عليها، ولما لكتاب الله من حضور مؤثر في نفوسه، وثقافتهم ذات السمُت القرآني، وذاكرتهم المستحضرة للنصوص في موضعها المراد، فصلا عن تأثيره في بلاغة فصحاء العرب، وروعة بيانهم ورصانة اسلوبهم على مر العصور.

واتخذ الرسول صلى الله عليه وآله من النصوص القرآنية المقتبسة شواهد اثبات ودلال وايضاح، فانتقاء منها ما يناسب حال خطبهم، واختار منها ما يشير الى عقائدهم ورسلهم.

فكان خطاب الامام الصادق عليه السلام نسيج من بلاغة القران الكريم، فضلاً عن بلاغته التي حباهُ الله ومتع اهل البيت عليهم السلام جميعا بها.

فهذه الصورة التضمينية التي تسير الى الواحد بعشرة، وانه يتضاعف الى سبعمائة، انما تقتبس دلالة الآية القائلة ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (سورة ال عمران ٢٨)

أراد الامام عليه السلام من خلال هذه الصورة التضمينية (الاقتباس) ان يقوي نص خطابه بما يؤيده من كلام الله عز وجل، فضلاً عن ارشاد المؤمنين ونصحهم باتباع تعاليم الاسلام التي ارادها الله عز وجل وان يتقوا فالتقوى هي اصلح للإيمان.

كذلك نجد الامام الباقر عليه السلام يضمن كلامه بآيات من القران الكريم، آيات بعينها فقد اختار لخطبته قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة البقرة ١٩٥)

كذلك نجد الامام الباقر عليه السلام بالآية المبينة في النص شاهد على صدق وعد الله، وحث على العمل في سبيل الله.

فمن اللافت ان الامام عليه السلام يجعل الآيات القرآنية في جميع اجزاء الخطاب في بدايته وفي العرض والختام من اجل التأكيد كما قلنا سابقا وليجعله شاهد على حديثه، فنلاحظ فيما يقارب الختام يستعمل الآية القرآنية: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (سورة الجن٢٦) ليبين للمتلقي ان الامر في الاول والاخر بيد الله عز شأنه والذي عند الرسول واهل بيته ما هو الا من عند الله عز وجل، ومثل هذا الاسلوب في التضمين والاقتباس لا يغيب عن الرسول وال بيته ومنهم امامنا الصادق عليهم السلام جميعا.

كذلك نجد الامام يضمن كلامه نصوص عن اهل البيت عليهم السلام مثلا قول عن الامام الحسن المجتبى عليه السلام (ما انا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين) وهكذا.

التكرار في خطاب الامام الصادق عليه السلام:

يعد التكرار أداة مهمة من أدوات الموسيقى الداخلية، لتشكيله نغماً موسيقيا، كما يعدُّ وسيلة مهمة من وسائل التناغم الصوتي وكذلك الدلالي، ولا ينتج عن التكرار مجرد تعميق القيم الدلالية أو تثبيت الدواعي البلاغية، بل يشمل - فضلاً عن - ذلك قيماً صوتية إيقاعية، تنشأ من إعادة القوالب الصياغية.

"ولعل من أبرز صور التناسق الجمالي في ظواهر الأشياء هو الانسجام في تكرار الوحدات الجزئية المكونة للكل، والتكرار في التعبير الأدبي هو تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره أو نثره"(٢٩).

ومن أهم انواع التكرار هو:

تكرار الصوت:

لابد من معرفة أنَّ الصوت المفرد له دلالة محددة في العربية، وإنَّ له مجموعة صفات، ومن هذه الصفات يمكن للدارس أنْ يستكنه نوعاً من الاستدلالات على نوع مشاعر المنشئ وأجواء النص، لذلك ومهما كانت المناقشات حول الرمزية الصوتية فَإنَّ الباحثين لم يضعوا

بعد شروطاً ضرورية وكافية لحصرها وضبطها وإنَّمَا تبقى دراستها ذوقية لا تملك البرهنة لإثبات وجاهتها(٣٠).

وقد ورد تكرار الصوت كثيرا في خطاب الامام الصادق عليه السلام فللبلاغة اهمية عظيمة عند البلاغة وقطعا لا يخفى على الامام اهمية العنصر الصوتي ودلالة تكراره داخل النص، ومن هذه التكرارات قوله: (يا ابن النعمان إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم. لانه سر الله الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وأسره محمد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام...) ومن التراكمات الصوتية في الأبيات السابقة صوت السين قد بدأ تأثيره واضحاً جليا من خلال ما تضفيه صفاته، فهو صوت مهموس منفتح ورخو(٣١).

فضلاً عن مخارجه الاسلي(٣٢) وهذا ما يشكل علامة موسيقية يحس بها المتلقي فيكون اكثر حماسا وتأثير فيما يسمعه.

ومن التكرار الصوتي الاخر قوله عليه السلام: (يا ابن النعمان إن أردت أن يصفو لك ود أخيك فلا تمازحنه ولا تمارينه ولا تباهينه ولا تشارنه) ان تكرار صوت الهاء وبشكل مسجوع اراد الامام عليه السلام من خلاله ان يركز الحديث على شخص المتلقي حتى يكون اكثر وقعا وتأثيرا في نفسه، وتنبيه للسامع البعيد بعد ان يرى تأكيد الامام على المتلقي.

وهناك اصوات اخرى تكررت داخل نص الخطاب منها صوت الكاف والنون والميم وكل صوت له دلالة معينه كان يعنيها الامام وخصوصا هو عارف بأهمية علم البلاغة ومدى تأثيره في النص.

تكرار الألفاظ:

ويفيد هذا النوع من التكرار في "إشاعة الفكرة التي يريد المنشىء أن يطرحها في نصه أو جذب القارئ إلى كلمة أو نقطة يود المنشىء أن يؤكد عليها أو ينبه إليها. ذلك بأن تكرار الكلمات ذاتها في حالات كثيرة يكسبها نبرة معينة"(٣٣).

ولاشك في أن تكرار اللفظ يعني تكرار المضمون الدلالي للفظ ومناوبته في الشعر.

ومن تكرار اللفظ في نص الامام عليه السلام تكرار لفظة اسره في سلسة قوله: (لانه سر الله

الذي أسره إلى جبرئيل عليه السلام وأسره جبرئيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وأسره محمد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين عليه السلام وأسره الحسين عليه السلام إلى علي عليه السلام وأسره علي عليه السلام إلى محمد عليه السلام وأسره محمد عليه السلام إلى من أسره) فان لفظة اسره الذي جعلها الامام عليه السلام في سلسلة حديث منقول عن الله الى جبريل الى الرسول والى ال البيت اراد بها بيان اهمية الحفاظ على نقل السر، ثم ينتقل من حفظت السر الى سلسة اخرى اذاعوا السر وافشوه ليبين الفرق بين من اطاع الله ومن خالف تعاليمه في الحفاظ على الحديث وغيره.

كذلك في قوله: (فإن المغيرة بن سعيد كذب على أبي وأذاع سره فأذاقه الله حر الحديد. وإن أبا الخطاب كذب علي وأذاع سري فاذاقه الله حر الحديد). بين التشديد على من اذاع السر فذكر ان عقابه حر الحديد وهي كناية عن شدة العقوبة.

وجعل الامام عليه السلام في مقابل مفشي السر ومقابل عقوبة حر الحديد، قوله: (ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظه ووقاه حر الحديد وضيق المحابس).

كما كرر **ضيق المحابس** في موضعين متقابلين قال في الاول: (ومن كتم أمرنا زينه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظه ووقاه حر الحديد وضيق المحابس).

وقابله في قوله: (ومن استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حر الحديد وضيق المحابس).

من خلال ما تقدم نلحظ ان الامام عليه السلام اراد كشف حقيقة وصفات وجزاء كل صنف من اصناف المؤمنين سوى من كتم السر أو من اذاعه فضلا عن ذلك فان للتكرار دلالة موسيقية بلاغة مميزة فلا بد للإمام من الاعتماد عليه في نصه ليواكب فنون عصره خصوصا وهو عالما فن البلاغة ومؤيد له.

الخاتمة:

إن دراسة اسس البناء الفنية في وصية الامام الصادق عليه السلام لابي جعفر محمد بن النعمان الاحول قد أوصلتنا إلى نتائج يمكن إجمالها بالاتي:

ارتبطت اغلب جمل النص بعلاقات منطقية غير واضحة للعيان، إنما يستدل عليها من

خلال التحليل وإعادة صياغة النص أي إعادة تشكيله قصد العثور على هذه العلاقات وإظهار أثرها في الترابط الذي بدا عليه النص.

أراد الامام عليه السلام من هذه الرسالة النصح والارشاد ليس لابن النعمان فقط بل للمسلمين جميعا من خلال التحذير والتخويف والابتعاد عن المحرمات. كذلك الحث على العلم والتعلم خصوصا ان عصر الامام عليه السلام ازدهر فيه التعلم والعلم بشكل عام.

هذه الرسالة وما شابه تحقق العدالة الاجتماعية والسياسية واتباع التعاليم الاسلامية خصوصا ان المسلمين في هذا الزمن - زمن الامام - زمن الازدهار والتطور والتداخل بين الشعوب والاوطان.

The technical foundations in the commandment of Imam Sadiq (peace be upon him) bi Jaafar Mohammed bin Al - Nu'man Al -Ahwal

Lecturer. Asst.
Fatima Abd Zaid Shuain Al-Khuzaie
Faculty of Tusi University - Najaf

Abstract:-

There is no doubt that the texts of the people of the House (peace be upon them) after the text of the Koran is an evolution of structural aesthetic achieved creativity is impossible minds and dazzled and motivated to take up the premises of that creativity and revealed the secrets of their linguistic and artistic style, which form their texts, and how we are in front of the text of the true (peace be upon him), Which encouraged the rhetoric and employed in its texts was the letter of the arrow the most attention, and this research is only an attempt to highlight the areas of aesthetic creativity in this text by applying some technical procedures.

The method of research is based on a methodology based on paragraphs preceded by an introduction and an introduction to the research, which speaks of a brief biography of Imam (peace be upon him) and is followed by the conclusion of the results. The first paragraph bore the title (engineering construction) and meant to highlight the general structure on which the text was constructed.

The second paragraph bore the title "picture building" and included under it metaphor, metaphor and metaphor.

The third paragraph was entitled (vocal construction) and included anagram، quote, repetition and interview…

هوامش البحث

(١) الكافي، الكليني، باب مولد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام / ح١ / ١ / ٦٩٢

(٢) سير أعلام النبلاء / ١٣ / ١٢٠.

(٣) ينظر موسوعة أصحاب الفقهاء /٣٤

(٤) ينظر: تاج المواليد، الطبرسي، ١٤٠٦ / ٢٢

(٥) الأغاني، ابي الفرج الاصفهاني، تح: عبد المعين الملوحي، ١٩٨٤ / ٢٠ / ٥١

(٦) ضحى الإسلام، احمد امين/ ١ /٥

(٧) الاغاني، ابو الفرج الاصفهاني، تح: احسان عباس/٥٣/٢٠

(٨) تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، محمود البستاني / ٤١٩

(٩) المصدر نفسه /٤٣٣

(١٠) بحار الانوار، المجلسي/ ٢٨٦/٧٥-٢٨٨

(١١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)/ ٩٢/٣

(١٢) ينظر: النقد التطبيقي، (الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري) احمد عثمان رحمن/ ٢٣٣

(١٣) ينظر: البلاغة والأسلوبية، احمد عبد المطلب / ١١١

(١٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ) / ٥٨١

(١٥) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر ابو فهر/ ١٠٥

(١٦) المصدر نفسه / ١٠٨

(١٧) ينظر: دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر ابو فهر / ١٠٨

(١٨) ينظر في الميزان الجديد، محمد مندور /٢٣٤

(١٩) البلاغة العربية، احمد مطلوب / ٢٨٥_٢٨٧.

(٢٠) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح:كمال مصطفى- محمد عبد المنعم خفاجي /ص١٥٢.

(٢١) الجامع الكبير، في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، تح: مصطفى جواد،١٣٧٥ /٢١٢.

(٢٢) البديع، ابو العباس عبد الله ابن المعتز، تح: عرفان مطرجي، ٢٥/٢.

(٢٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة العلوي /٣٥٦/٢.
(٢٤) البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة /٣٥٦.
(٢٥) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال /٢٨٠.
(٢٦) الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد القادر الفاضلي /٥٧٥/٢.
(٢٧) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة العربية ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود ١٣٨/١.
(٢٨) ينظر اثر القران في الشعر الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة، محمد شهاب العاني/٤٨.
(٢٩) جرس الألفاظ، ماهر مهدي هلال / ٢٣٩
(٣٠) ينظر: تحليل الخطاب الشعري، محمد فتاح / ٣٦
(٣١) ينظر: الأصوات اللغوية، ابراهيم انيس/ ٦٧
(٣٢) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك / ٤٨
(٣٣) دراسات في الأدب العربي، شاكر هادي التميمي / ١١٦

قائمة المصادر والمراجع

- خير ما نبتدئ به القران الكريم
- اثر القران في الشعر الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة، محمد شهاب العاني (،د. ط)، ٢٠٠٢ بغداد دار النشر، وزارة الثقافة دار الشؤن الثقافية العامة،
- الأصوات اللغوية، ابراهيم انيس، ط٣،١٩٦١م، مطبعة لجنة التراث العربي
- الأغاني، ابو الفرج الاصفهاني، تح: احسان عباس، (د. ط)، ١٩٨٤، دار صادر
- الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن، تح: عبد القادر الفاضلي، (د، ط)، ٢٠٠٨، المكتبة العصرية
- البديع، ابو العباس عبد الله ابن المعتز، تح: عرفان مطرجي، ط١، ١٩٩٠، دار الجيل
- بحار الانوار، المجلسي، الطبعة المصححة،(د. ط)، ١٩٨٣
- البلاغة العربية، احمد مطلوب،(د. ط)،١٩٨٠
- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيلة، (د. ط)، ١٩٩٨، دار الفكر العربي.
- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب،،ط١، ١٩٩٤م، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان
- تاج المواليد، الطبرسي (٥٤٨)، (د.ط)، ١٤٠٦
- تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، محمود البستاني، ط٣، ١٤٣٥، مجمع البحوث الاسلامية

- تحليل الخطاب الشعري، (ستراتيجية التناص) محمد فتاح،ط٢، ١٩٨٦م
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين ابن الأثير، تح: مصطفى جواد، (د.ط) ١٣٧٥ مطبعة المجمع العلمي
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال،(د.ط)، ١٩٨٠،دار الرشيد للنشر، بغداد
- دراسات في الأدب العربي، شاكر هادي التميمي، ط٢، ٢٠٠٨م
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر ابو فهر، ط١، ٢٠٠٤، دار الجيل للنشر
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، (د. ت)، (د.ت) مؤسسة الرسالة
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة العلوي،ط١، ١٤٢٣هـ، المكتبة العنصرية، بيروت
- ضحى الإسلام، احمد امين،(د. ط)، ١٩٣٣، مكتبة النهضة المصرية
- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة العربية ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود،(د. ط) ٢٠١٦، مؤسسة المختار
- فقه اللغة وخصائص العربية(دراسة تحليلية مقارنة) للكلمات العربية لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد مبارك(د. ط)،(د. ت)، دار الفكر الاسلامي.
- في الميزان الجديد، محمد مندور،(د. ط)،٢٠٠٤، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)،تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٣، ١٩٩٧، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، باب مولد الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام، تح: علي اكبر الغفاري، ط٥، ١٣٦٣.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)،(د. ط)،١٩٩٩، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان
- النقد التطبيقي، (الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري) احمد عثمان رحمن، ط١، ٢٠٠٨ عالم الكتب.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: مصطفى كمال - محمد عبد النعم خفاجي، ط٣، ١٩٧٨، دار الكتب العلمية، مكتبة الخانجي، القاهرة.